التنميط اللغوي في اللسانيات العربية

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الزهرة عودة جبر
جامعة ميسان - كلية التربية

المقدّمة

يرجع البحث في تصنيف اللغات الى أسرٍ لغوية ومجموعات متشابهة الى عصر النهضة في أوروبا، ولكنّ هذه الأبحاث لم تُكتب لها العناية والانتشار وظلّت في عزلة الى حدّ كبير. وتُنسب أول محاولة للتعرف الى أوجه الشبه بين اللغات الى (دانتي) صاحب الكوميدية الإلهية، الذي قام بمقارنة مجموعة من اللغات، وتوصّل الى التمييز بين ثلاث أسر لغوية رئيسة هي، الجرمانية في الشمال، واللاتينية في الجنوب، واليونانية في القسم الأوروبي المجاور لآسيا. ثم تأتي بعد ذلك محاولة (سكاليجر) الذي ميّز بين إحدى عشرة أسرة لغوية، تغطي قارة أوروبا. وعلى أساس جذور الكلمات المشتركة قسّم (ليبنز) اللغات على قسمين، هما القسم الجافيتي، ويغطّي لغات الشمال بما في ذلك أوروبا، والقسم الآرامي الذي يشمل لغات الجنوب. (١)

وكان السبب في نشأة المقارنة بين اللغات والثقافات هو شعور بعض الجماعات البشرية أو العرقية بنبل أصلها وشرف عرقها، فتعتقد هذه الجماعة أو تلك - بدافع عرقي أو ديني – أنَّ لغتها أصل اللغات جميعًا. وفي هذا الاتجاه ذهب اليهود – بدافع ديني – إلى أنّ اللغة العبرية أُمُّ اللغات البشرية جميعًا، كما اعتقد الكلتيون- بدافع عرقيّ - أنّ لغتهم الكلتية أُمّ اللغات الأوروبية(٢).

في ظل هذا التوجه، بدأ الإحساس بأهمية البحث عن العلاقة العضوية بين اللغة والنمط العرقي والعقلي للشعوب الناطقة بها؛ ولذلك نجد مجموعة غير قليلة من المفكرين، في القرن التاسع عشر، تنصرف إلى البحث عن العلاقات التركيبية والوظيفية للغات، وربطها بالسمات العرقية للشعوب الناطقة بها(٣).

ولعلّ أهمّ حدث ساعد الباحثين على دراسة الأنماط اللغوية هو اكتشاف اللغة السنسكريتية (لغة الهنود القدماء)، إذ مثّل هذا الاكتشاف منعطفًا مهمّا في تطوّر الدراسات التاريخية والمقارنة على مستوى النظرية والمنهج. فبعد ان قدّم القاضي الانكليزي (وليام جونز) تقريره الذي أشار فيه الى صلة القرابة بين اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية في جذور الأفعال وصور الكلمات، بدأت حركة البحث في المقارنة بين اللغات وتنميطها تتسارع وتتسع دائرتها. (٤) ويمكن تقسيم تلك الأعمال على اتجاهين رئيسين (٥):

الاتجاه الأول، قسّمَ اللغاتِ على أساس صلة القرابة اللغوية، إذ تشترك فئات كلّ قسم في أنّ المتكلّمين بلغات الفئة الواحدة يرجعون الى أصول شعبية واحدة، أو متقاربة، وتؤلّف بينهم روابط تاريخية وجغرافية واجتماعية. وأشهر نظرية صنّفت اللغات ضمن هذا الاتجاه نظريةُ (ماكس مولر)، إذ قُسّمت اللغات فيها على ثلاث فصائل هي: الفصيلة الهندو أوروبية، والفصيلة السامية الحامية، والفصيلة الطورانية.

الاتجاه الآخر، نظر الى تصنيف اللغات من ناحية التطوّر والارتقاء، فقسّم اللغات الانسانية على ثلاث فصائل تتفاضل في ما بينها بدرجة رقيّها، ويمثّل كلّ صنف منها مرحلة من تطوّر اللغات ونُضجها. وأشهر نظرية في هذا الاتجاه نظريةُ (شليجل) التي قُسّمت اللغات في ضوئها على أساس البنية الصرفية، ثلاثَ فصائل هي (٦):

اللغات التصريفية: ويقصد بها اللغات التي تستعمل السوابق واللواحق، والتغيرات الداخلية للجذر اللغوي للدلالة على المعاني الصرفية. ومن لغات هذا النمط اللغة العربية، واللغات الهندو أوروبية .

اللغات اللاصقة: هي تلك اللغات التي لا يتغير فيها الجذر اللغوي للكلمة، وإنّما تُلصق به عناصر سابقة أو لاحقة تؤدي الى تغيير معنى الكلمة. واللغة التركية من هذا النمط .

اللغات العازلة: هي اللغات التي لا يتغير فيها جذر الكلمة ولا شكلها، ويتوقف المعنى الصرفي للكلمة ومعناها النحوي على موقعها وترتيبها في الجملة لا على تصريفها ولا على حالتها الإعرابية. واللغة الصينية من هذا النوع .

وقد أضاف الألماني (بوت) نمطًا رابعًا، هو اللغات المركّبة، وهي اللغات التي تُركّب عدداً من المورفيمات المُتّصلة لتكوّن عبارة واحدة، ولا أحد من هذه المورفيمات يمكن أن يعطي معنى محدّداً لو استُعمل بمفرده. ويُمثّل هذا النمطَ اللغةُ الأمريكية الهندية (٧).

ويرى أصحاب هذه النظرية أنّ اللغة الإنسانية كانت في بداية نشأتها من نوع اللغات العازلة، ثمّ تطوّرت الى نوع اللغات اللاصقة، ثمّ ارتقت ونضجت حتى وصلت الى مرحلة اللغات التصريفية (٨).

ومن المآخذ على هذا التصنيف أنّ ظواهر التصريف، والعزل، والإلصاق قد توجد مجتمعة في لغة واحدة (٩). وعلى الرغم ممّا أُخذ على هذا التصنيف، إنّه يُبيّن مدى الاختلاف بين اللغات؛ ((إذ لا يترك الصرف مكانًا للكليّات. إنّنا هنا في النقطة القصوى للاختلافات)) (١٠) .

وقد بلغ تصنيف اللغات مرحلة مهمّة على يد الباحث الأمريكي (غرينبرغ)، إذ عمد الى تصنيف اللغات لا على أساس صلة القرابة، ولا على أساس نظرية التطوّر والارتقاء، بل على أساس الخواص البنيوية المشتركة بين اللغات. ويُسمّى هذا التصنيف باسم (التصنيف النمطي) وقد وضع غرينبرغ مبادئ لعملية التصنيف، أهمّها(١١) :

لا بُدّ أنْ تتمّ المقارنة بين مجموعة لغات مرّة واحدة، فالمقارنة بين لغتين لا تعطي نتائج واضحة، بل قد تُخفي أمورا أخرى، وأما المقارنة بين مجموعة كاملة من اللغات فستُفضي إلى انتمائها إلى أسرة واحدة.

الاستناد إلى الأدلة اللغوية وحدها في عملية التصنيف، وعدم الأخذ بالآراء السائدة حول تصنيف القبائل أو علاقتها أو قرابتها.

وتوصّل غرينبرغ إلى تنميط اللغات على أساس رتبة المكونات في الجملة، أي بالاستناد الى موقعي الفاعل والمفعول بالنسبة لموقع الفعل، إذ وجد أنّ اللغات تتوزّع على إحدى البنيات الرتبيّة الآتية (١٢):

١- فعل - فاعل - مفعول
٢- فعل - مفعول - فاعل
٣- فاعل - فعل - مفعول
٤- فاعل - مفعول - فعل
٥- مفعول - فعل - فاعل
٦- مفعول - فاعل - فعل

ثمّ انتقلت عملية تنميط اللغات الى مرحلة أعمقَ بظهور اللسانيات الحديثة، إذ لم يعد المستوى البنيوي للعبارات اللغوية مائزًا وحيدًا، بل دخلت مستويات أخرى، كالمستوى الدلالي، والمستوى التداولي، وأصبحنا أمام منهج جديد في التنميط يمكن أن نطلق عليه (اللسانيات التنميطية). ويتميّز هذا المنهج بما تتميّز به اللسانيات الحديثة من البناء النظري و التمثيل المجرّد لعملية إنتاج اللغة وفهمها.

وأمّا الدارسون العرب فهم بعيدون عن الاشتغال في مجال تنميط اللغات، فلم نجد أحدًا من لغويينا القدماء أو المتأخّرين كانت له درايةٌ كاملة بأنظمة اللغات الأُخر، أو قدّم رؤيةً عن كيفية تنميط اللغات. والسبب في نظرنا واضح، وهو أنّ الفكر اللغوي العربي كان مقتصرًا على نفسه، ولا تعنيه اللغات الأُخر؛ لأنّ الدرس اللغوي العربي استند الى أصول إبستمولوجية تختلف عن الأصول التي انبثق منها الدرس اللغوي الغربي، فعلم العربية لم يؤسّس للعربية نفسها، وإنّما لخدمة النصّ القرآني، و صون ألسنة الناطقين بها من اللحن في قراءة القرآن العربي المجيد، وظلّ هذا الدرس العربي على هذه الحال. وأما الدرس اللغوي الغربي وإنْ كان في مراحله الأولى فيلولوجيًّا فقد أصبح فيما بعد علمًا لغويّاً خالصًا معنيّاً بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، ثُمّ سعى هذا العلم الغربي الى أن يكون عالميّا يستوعب جميع اللغات بما قدّمه تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية، ومن هنا تغيّرت

الأُسس التي يُستند إليها في تنميط اللغات، فبعد أن كان التصنيف يعتمد على الأصوات، والألفاظ وأبنيتها المتشابهة في اللغات، رأى اللسانيون الغربيون أنّ ذلك غير كافٍ فوسّعوا المعايير، لتشمل الجوانب التركيبية والدلالية والتداولية.

كما نلحظ أنّ البحث في التنميط اللغوي لم يكن من اجل اللغات أنفسها، بل كان بدافع عرقي أو ديني ، ولكن بظهور اللسانيات الحديثة اصبح التنميط اللغوي أحد الأهداف المهمّة التي تسعى إليها النظريات اللسانية، إذ لا بدّ للنظرية اللسانية من أن تنطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات، فلا بدّ لها من معرفة الأنماط اللغوية، ومن ثَمّ بناء جهازها الواصف بشكل ينسجم مع تلك الأنماط اللغوية. ومعنى ذلك أن البحث في التنميط اللغوي أصبح من أجل اللغات أنفسها لا لسبب خارج عن اللغات.

وأمّا اللغويون العرب المحدثون فكان نصيبهم من البحث في التنميط نزرًا، على الرغم من كثرة الدراسات اللسانية العربية. والسبب في ذلك يرجع الى أنّ النظريات اللسانية التي اشتغل بها العرب لم تكن من نتاجهم، بل كان موطنها الغرب، وأصحابنا تلقّفوا تلك النظريات، فسعى قسم منهم الى التعريف بها، وقسم حاول دراسة العربية في ضوئها.

وتُعدّ محاولتا اللسانيَّين المغربيَّين محمد الأوراغي، وأحمد المتوكل الوحيدتين في مجال التنميط اللغوي في عالمنا العربي، إذ اقترح الأوراغي نظرية اللسانيات النسبية التي قامت على دحض نظرية تشومسكي. و تبنّى المتوكل نظرية النحو الوظيفي التي أسّسها اللساني الهولندي سايمون ديك، وأسهم في ضوء هذه النظرية في تقديم تنميط للغات. وتتميّز هاتان المحاولتان بمنهجية علميّة تستند إلى التنظير اللساني، والاستقراء شبه التام للغات الانسانية.

المبحث الأول

التنميط اللغوي في اللسانيات النسبية

اللسانيات النسبية نظرية تسعى الى تنميط اللغات الإنسانية بالاستناد الى الكلّيات اللغوية المشتركة بين اللغات، ثمّ تقوم بتنميطها على أساس الاختلافات التي تفرّق

بين مجموعة لغوية وأخرى. ولأنّ النحو يُمثّل نموذجًا يُشاكل نسق اللغة، تقوم اللسانيات النسبية ببناء أنحاء نمطية تختلف اختلاف اللغات. فالنمطية هنا تعني ((الجمع بين إثبات الاختلاف للغات البشرية، وبين منع اختلافها الواسع من الانتشار، مع توقّع إمكان إرجاعه إلى أقل عدد بعد الواحد الكلّيّ)) (١٣) .

وجاءت هذه النظرية التي أسّسها اللساني المغربي الدكتور محمد الأوراغي، رداً على نظرية اللسانيات التوليدية التي أسّسها اللساني الأمريكي تشومسكي، الذي سعى الى وضع (نحو كلّي) ينطبق على اللغات الإنسانية كافّة. فقد نقل تشومسكي مجال اللسانيات من التصنيف الى التفسير بعد أنْ نظر الى اللغة ((بوصفها موضوعًا معرفيًا ذهنيًا، أي داخليًا، ووُضعت دراسة اللغة في إطار علم النفس المعرفي، فأصبح الهدف تخصيص الملكة الذهنية وتفسير عملية اكتساب اللغة)) (١٤). وأصبح موضوع اللسانيات هو الملكة اللغوية الفطرية المُمثّل لها في ذهن المتكلّم، الموجودة ماديًّا في دماغه. إذ يفترض تشومسكي ((أنّ الطفل مزوّد بملكة لغوية فطرية يحدّدها استعداده الأحيائي لا التجربة. وتسمّى هذه المعرفة بالحالة الذهنية الأولى. وتتكوّن هذه الحالة التي يمثّلها النحو الكلي، من مجموعة من المبادئ العامة التي تحكم جميع اللغات الطبيعية. وتعبّر الحالة الذهنية الأولى عن وحدة اللغات وائتلافها)) (١٥).

فاللغة في نظر تشومسكي مَلَكَةٌ طبعيّةٌ مختزنة في دماغ الانسان، وهي تولد معه بالفطرة، فدراسةُ نظامِ أيّةِ لغةٍ يعني دراسةَ الأنظمة اللغوية للغات كلّها(١٦). والنحو الكلّي هو تحديد لسمات ملكة اللغة المُحدّدة جينيًا، وينظر الى هذه الملكة على أنّها أداة اكتساب اللغة، أي أنّها مُكوّنٌ فطريّ من مكونات العقل الإنساني، وهذا المكوّن يؤدّي إلى اكتساب لغة خاصّة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة، فالنحو الكلّيّ هو نظرية للحالة الأوّليّة لِمَلَكَة اللغة التي تسبقُ أية تجربةٍ لغويّة (١٧).

ويرى الأوراغي أنّ اللغة مَلَكَةٌ كَسْبيّة يتحلّى بها عضوٌ ذهنيّ مُهيّأ خِلْقَةً للتشكّل بِبِنْيَتها، أي أنّ هذا العضو الذهني يقوم بتثبيت المُكتسبات التي تصله من الواقع الخارجي، كما هي الحال في الملكات المعرفية الأُخر المحمولة في خلايا الأعضاء الذهنية. وهذا يستلزم أن تكون اللغة موضوعًا ثابتًا، لا مُتشكّلًا تبنيه النظرية كما

يعتقد تشومسكي. كما يستلزم أنْ تكون اللغة مَلَكَةً وضعيّة، وما دامت كذلك، فهي قابلة للتغاير(١٨).

وعلى هذا الأساس لا بُدّ أنْ تختلف اللغاتُ في بنيتها. ولا يمكن الاستناد إلى مبدأ (الإعمام) الذي اتّخذه تشومسكي مُنطلقًا لبناء نظرية النحو الكلي. وتبعا لمبدأ الإعمام واجهتْ هذه النظرية مُشكلات دعت صاحبها إلى إجراء تعديلات عليها، ومن أهمّ هذه المشكلات وجود أنحاء خاصّة بلغات معيّنة لا تنطبق عليها مبادئ نظرية النحو الكلي. ولتجاوز هذه المشكلة أدخل تشومسكي مفهوم (البارامترات)، وهو مجموعة من معايير التغيير التي يُلتَجأ إليها لتنسجم نظرية النحو الكلي مع الأنحاء الخاصّة(١٩).

وقد انتقد الأوراغي هذا التعديل على النظرية؛ لأنّ مفهوم البارامترات لم يتحدّد من نسق النظرية بالاستناد الى إواليّاتها، بل يستمدّ محتواه من خارج النظرية، وتتحدّد قيمته استنادًا الى الوقائع التجريبية (٢٠).

انطلاقا من الفرضية الكسبيّة للغة، يرى الأوراغي أنّ اللغة ملكة وضعيّة متقوّمة الماهية من تضافر أربعة مبادئ (٢١):

١- المبدأ الدلالي: هو المبدأ الذي يحكم علاقة الألفاظ بما تدلّ عليه في العالم الخارجي، فينقسم على قسمين: ١- علاقات دلالية عددها محصور في: علاقة السببية، وعلاقة اللزوم، وعلاقة الإضافة، وعلاقة الانتماء، وعلاقة العلّية. ٢- مفردات بحتة، تكون أطرافًا للعلاقات الدلالية.

٢- المبدأ التداولي: هو المبدأ الذي يحكم العلاقة بين المتخاطبين، وينقسم على:أ- علاقات تداولية تقوم بين المتخاطبين، وتؤثّر في بنية العبارة اللغوية، أو تُحدّد أقرب التأويلات الدلالية التي تحتملها العبارة اللغوية. ب- قيود إجبارية يلتزم بها المتكلم، بصفته طرفًا في علاقة تداولية، لضمان الردّ المناسب من المخاطب.

وتكون محتويات المبدأين الدلالي والتداولي كُلّيّات بحتة، تشترك فيها اللغات البشرية جميعها.

٣- المبدأ الوضعي: وهو المبدأ الذي يُمثّل البنية النحوية-الصرفية للغات البشرية، ويحتوي هذا المبدأ على شبكتين من الوسائط اللغوية المتقابلة على جهة التضاد، وهاتان الشبكتان من الوسائط تُمثلان نوعين من الخصائص البنيوية التي تُنمّط على أساسها اللغات البشرية الى نمطين اثنين، وليس بين اللغات البشرية لغةٌ لا تنتمي الى أحد هذين النمطين اللغويين .

٤- المبدأ الصوري: هو المبدأ الذي يمثّل اللغة المنطوقة، ومحتواه نسقٌ من المبادئ والقواعد المتفرّعة من إحدى الشبكتين من الوسائط اللغوية المتحكّمة في تكوين بِنْية قَوْلِيّة، تتقاسمها لُغاتٌ من النمط نفسه .

ثمّ يبني الأوراغي نظريته بناءً قالبيًا، يشتملّ كلّ قالبٍ على مستوى من مستويات اللغة والتي يُسمّيها الفصوص اللغوية(٢٢)، فهناك أربعة قوالب تضمّ أربعة فصوص لغوية.

ومفهوم القالبية أخذه الأوراغي من نظرية تشومسكي. وكان هذا المفهوم قد بُحث في إطار علم النفس المعرفي، ولكن ((يعود الفضل في صياغة فرضية القالبية صياغة علمية واضحة إلى تشومسكي وبعده فودور)) (٢٣).

فالنظرية التوليدية تبني جهازًا أو نموذجا رمزيًا يُحاكي أو يُماثل بنية اللغة في ذهن الإنسان، وكيفية قيام المتكلّم بإنتاج اللغة. هذا الجهاز الذي يصف عملية إنتاج اللغة يُطلق عليه (النحو). أدخل تشومسكي مفهوم القالبية على نظريته، بحيث تُبنى على شكل أنساق متنوعة تتفاعل فيما بينها، يُدعى كلّ نسقٍ منها (قالبًا). إذ يرى تشومسكي أنّ الذهن البشري يضمّ أنساقًا فرعية معرفيّة مستقلة، لها بنياتها ومبادئها الخاصة، ولكنّها متفاعلة فيما بينها. وقد أسقط تشومسكي المقاربة القالبية للذهن البشري على بنية النحو، فأصبح النحو مُكوّنًا من أنساق فرعية مستقلة ومتفاعلة (٢٤). ويمكن النظر في هذه الأنساق من عدّة جوانب ، إذ يمكن أن ننظر الى المكونات الفرعية على أنّها نسق قواعد النحو، ومن هذه المكونات الفرعية: (المكون المعجمي، والمكون التركيبي، والمكون الصوتي، والمكون الدلالي)، ومن جانب آخر يمكن النظر الى الأنساق الفرعية على أنّها مجموعة من المبادئ والقيود التي تكون

جوهر النظرية. ومن هذه الأنساق: نظرية العامل، ونظرية الحالة الإعرابية، ونظرية العُجَر الفاصلة، ونظرية الربط الإحالي، ونظرية المراقبة(٢٥) .

ويستعمل الأوراغي القوالب بمعنى فروع علم اللغة، وهي علم الأصوات، وعلم المعجم، وعلم الصرف، وعلم النحو. وهذه القوالب تُمثّل لمستويات اللغة البشرية التي يُسمّيها الأوراغي فصوص اللغة(٢٦). فيكون القالب نموذجًا للتمثيل النظري يُحاكي الفصّ المقابل له بنيةً ووظيفةً، ((فإذا كان الفصّ يصدق على موضوعات منتظمة، فإنّ القالب يشمل أَمْثَلَةَ تلك الموضوعات وقواعد انتظامها))(٢٧).

ولكي ترقى اللسانيات النسبية إلى مستوى النظرية، يرى الأوراغي أنّه لا بُدّ من أنْ يتضمّن بناؤها المنطقي مفاهيمَ أوّليّة تُمكّنها من التنبّؤ بالأنماط اللغوية الممكنة، ويجب إقران تلك المفاهيم بالفصوص اللغوية؛ لكي تُنمَّطَ فصوصُها تنميطًا نظريًا. ومن هذه المفاهيم الأوّليّة (الوسيط اللغوي)، الذي يعني الخصائص أو الظواهر اللغوية التي تتميّز بها اللغات. فيوضع الوسيط اللغوي ومُقابِلُهُ، اللذان يكونان مسؤولين عن تفرّع الفصّ اللغويّ إلى نمطين اثنين، بحسب ذينكم الوسيطين(٢٨).

واستنادًا لما تقدّم يلزم نظرية اللسانيات النسبية أن تتوقّع نمطين لغويين، وأنْ يكون هذا التنميط المتوقّع محصورًا في مستوى الفصوص اللغوية (٢٩). وينتهي الأوراغي إلى أنّ النمطين اللغويين اللذين تتوزّع عليهما اللغات في نظرية اللسانيات النسبية هما: نمط اللغات التوليفية، ونمط اللغات التركيبية أو الشجرية .

اللغات ونمطيّة الفصوص اللغوية:

يرى الأوراغي أنّ اللغات البشرية واحدة من حيث عدد الفصوص اللغوية، فلا تخلو لغة من الأصوات التي تأتلف في ألفاظ بطريقة معيّنة، ثم تتركّب هذه الألفاظ لتؤلّف جملًا. فعدد الفصوص اللغوية في كلّ اللغات أربعة، هي: (الفصّ النَصْغي، والفصّ المعجي، والفصّ النَسْلي، والفصّ التركيبي). ولكنّ اللغات ليست مُتشابهة من حيث مكونات الفصوص وحجمها؛ وعلى هذا الأساس يكون التنميط بين اللغات، كما يأتي (٣٠):

أولًا- الفصّ النَّصْغي، كما يسمّيه الأوراغي، ويقصد به الصوت. وهو فصّ لغويّ كلّيّ، لا تقوم لغة من دونه، ويتفرّع الى مكونين : ١- مكون نطقي؛ محتواه عدد محدود من الأصوات المتفرّعة الى صوامت وصوائت. ٢- مكون نصتي؛ محتواه قواعد صوريّة للتأليف بين الأصوات. وتُلتمس نمطيّة الفص النصغي في كيفية تكوين اللغات لأصواتها وفي قواعد بنائها، كما يأتي:

١- تكوين اللغات لصوامتها إما أنْ تقتصر على تشغيل بعض حجرات الرنين في الجهاز النطقي. ويسمّيها الأوراغي اللغات الاقتصارية، كاللغات الأوربية، فلا يوجد فيها أصوات حلقية، ولا أصوات مُستعلية. وإمّا أنْ تُشغّل حجرات الرنين جميعها، ويطلق عليها الأوراغي اللغات الاحتمالية. وهي اللغات التي تتنوع فيها الأصوات بحسب مخارجها، ومن أمثلتها اللغة العربية. وأما تكوين الصوائت، فاللغات تشترك في الصوائت الأساسية، ولإضافة صوائت أخرى أمام اللغات احتمالان: إمّا التضعيف فتحصل على أصوات المدّ، كما في العربية، وإما التشطير فتحصل على تنوعات نطقية مختلفة لتلك الصوائت، كما في الفرنسية، إذ يوجد أنواع مختلفة من الضمّة نحو (pour,port,peur,pur)، وأنواع مختلفة من الكسرة نحو (pair,pere,pure) وكذلك الحال في الفتحة.

٢- تأليف الأصوات: تسلك اللغات لتأليف أصواتها طريقين: إمّا أنْ تُرصّص الصوائت بالصوامت، فينتج جِذْعٌ مرصوص لا يُخترَق (أي لا يُزادُ عليه، ولا يُنقص منه)، كاللغات الأوروبية، وإمّا أنْ تؤلّف من الصوامت جَذْرًا رِخْوًا يُخترق، وتبني من الصوائت صيغةً، ثمّ تسكبُ الجذر الرخو في الصيغة القالب، كما هي الحال في اللغة العربية. يعني أنّنا أمام نمطين من اللغات على مستوى الفص النصغي؛ اللغات الاقتصارية الجذعية، واللغات الاحتمالية الجذرية.

ثانيًا- الفصّ المعجمي، وينقسم على: المعجم الواقع الذي يضمّ مداخل معجمية أصول، يحصل عليها من خَرْج الفص النصغي. ويتمّ اكتسابها بالاستقراء التام سَماعًا ، والمعجم المتوقّع الذي يضمّ مداخل معجمية فروعًا (الألفاظ المشتقة) يُنتجها الفصّ النَّسْليّ. ويكون اكتسابها بالاستنباط قياسًا. وتُلتَمَس نمطية الفص

المعجمي في الوسائل التي يستخدمها الفصّ النسلي لتكوين المداخل المعجمية الفروع، فنكون أمام نمطين، هما:

١- معجم شقيق: يتميّز باحتوائه عدداً من المداخل الفروع المولَّدَة باطّراد من المداخل الأصول، فيكون لكل فعل أصل عددٌ من الأفعال المشتقّة، ولكل فعل أصل أو مشتقّ عدد من الصفات. فالفعل (قَطَعَ) مثلا، يُشتقّ منه الأفعال: (قُطعَ، وقاطَعَ، وتقاطَعَ، وانقطعَ، واستقطعَ، ...)، وتشتق من كلّ فعل من هذه الأفعال المشتقة الصفاتُ الآتية: (مقطوع، مُقاطع، مُتقاطع، مُنقطع، مُستقطع، ...).

٢- معجم مسيك: يتميّز باحتوائه على الأفعال الأصول، يُشتقّ منها فعل واحد، أو فعلان في أحسن الأحوال، ومن غير أن يطّرد توليدُ المداخل الصفات من كلّ فعل، كما هي الحال في اللغة الفرنسية، إذ تُولّد من الفعل المتعدي (tuer) فعلا لازما مُنعكسًا (se tuer)، ووفعلا للمشاركة (s enter tuer)، ولا يطّرد، ثمّ تولّد الصفة (tueur) من الفعل الأصلي ولا تولّدها من الفعلين المُشتقّين .

ثالثًا- الفصّ النَّسْليّ أو التحويلي، ويقصد به الصرف، ويقع بين المعجم الواقع والمعجم المتوقع، مهمّته منحصرة في تكوين المداخل الفروع من أصولها، ويتألّف من مكونين: ١- مكون اشتقاقي؛ قواعده ذات طبيعة دلالية. ٢- مكوّن صرفي؛ قواعده ذات طبيعة صورية، تجرى لضبط انتقال قَوْلة من صيغة الى أخرى من دون أن يحصل تغيّر في المعنى، كقواعد الإبدال وقواعد الإدغام.

تنزع اللغات الجذرية التي اختارت لفصّها النصغي وسيط الجذر إلى اختيار وسيط الوزن لمكوّنها الصرفي، في حين تختار اللغات الجذعية وسيط الإلصاق لمكوّنها الصرفي.

رابعًا- الفصّ التركيبي، محتواه مجموعة من القواعد؛ لتأليف المداخل المعجمية، وتركيبها؛ لإنشاء جملٍ تامّة التكوين، مستوفيةٍ لشروط التواصل. وأولّ ما يواجه اللغات هو اضطرارها جميعًا الى التمييز بين العوارض التي تعرض للمداخل المركبّة بسبب ما يقوم بين تلك المداخل من علاقات لم تكن

موجودة في حال الانفراد. وهذه العوارض تنقسم على ثلاثة أنواع: أحوال تركيبية، كالرفع والنصب، و وظائف نحوية كالفاعل والمفعول، و انتظامات موقعية، أي ترتيب المداخل في مواقع معيّنة. وللإفصاح عن تلك العوارض ليس أمام اللغات سوى وسيطين اثنين:

١- وسيط العلامة المحمولة، أي العلامة الإعرابية، فتكون هذه العلامة دليلًا على الأحوال التركيبية. ويكون هذا الوسيط مناسبًا للغات التوليفية، التي اختارت لمعجمها وسيط الجذر، ولصرفها وسيط الوزن.

ويتفرّع الفص التركيبي في اللغات التوليفية، التي اختارت وسيط العلامة المحمولة، الى ثلاثة مكونات هي: المكون التأليفي، والمكون الإعرابي، والمكون الترتيبي. فبمقتضى المكون الأوّل (التأليفي) يتم التأليف بين المداخل المعجمية بوساطة العلاقات الدلالية، فمثلا، لا بُدّ لكل فعل من انتقاء الموضوعات التي تنسجم معه، ومن تآلف الفعل مع موضوعاته المناسبة تنشأ علاقات دلالية، كعلاقة السببية التي تنشأ بين الفعل المتعدّي الذي ينتقي موضوعين يكون أحدهما سببًا في إخراج الفعل من العدم الى الوجود، ويكون الآخر شاهدًا على تحقق الفعل، وعلى أساس هذه العلاقات تُسند الوظيفة الفاعل الى الموضوع الأوّل، وتُسند الوظيفة المفعول الى الموضوع الثاني.

وبمقتضى المكون الثاني (الإعرابي) تنشأ العلاقات التركيبية، كعلاقة الإسناد، وعلاقة الإفضال (الفضلة). وبمقتضى هذه العلاقات التركيبية تتولّد الحالات التركيبية، كحال الرفع التي تُناط بعلاقة الإسناد، وحال النصب المترتّبة عن علاقة الإفضال. وللكشف عن الحالات التركيبية المترجمة عن الوظائف النحوية تلجأ اللغات التوليفية إلى إسناد لواصق صوتية (علامات الإعراب) تلحق المكوّن الذي تطرأ عليه تلك العوارض.

وتكون وظيفة المكون الترتيبي ترتيب مكونات الجملة في بنية معيّنة، استنادًا الى البعد التداولي، إذ بحسب الغرض الذي يرومه المتخاطبان تترتّب مكونات الجملة، وتتميّز اللغات التوليفية بأنّ بنيتها ذات رتبة حرّة، من خصائصها أنّها تسمح لمكونات

جملها أن تترتّب على وفق أي ترتيب من تراتيب غرينبرغ الستة، وأنّها لا تؤصّل ترتيبًا بعينه، ولا تشتقُّ ترتيبًا من غيره، بمعنى أنّ أي ترتيب يكون ترتيبًا أصليّا غير مُحوّل من ترتيب آخر.

٢- وسيط الرتبة المحفوظة: أي أنّ اللغات التي تختار هذا الوسيط تُعرب عن العوارض التي تطرأ على المكونات بوساطة الترتيب الثابت للمكونات، وعلى هذا الأساس يتألّف الفصّ التركيبي فيها من مكونين فقط هما: المكوّن التأليفي، والمكوّن الترتيبي. فلا وجود للمكون الإعرابي في الفص التركيبي للغات الشجرية؛ إذ يتمّ الانتقال مباشرةً من المكون التأليفي الى المكون الترتيبي الذي تناط به مهمّة الإعراب عن الحالات التركيبية للمكونات، أي أنّ المكوّن يكتسب وظيفته النحوية، وحالته التركيبية بالنظر إلى وقوعه في مكان محدد في الجملة. وتتميّز البنية القاعدية لهذا النمط من اللغات بأنّها ذات رتبة قارّة، أي أنّ لها ترتيبًا واحدًا أصليّا، وقد يُشتقُّ منه ترتيبُ آخر بوساطة قاعدة التحريك التحويلية، وتُمنع التراتيب المحتملة.

خلاصة ذلك أنّ اللغات التوليفية تنماز من اللغات الشجرية في اختلاف الفصوص اللغوية، فعلى مستوى الفصّ الصوتي تُشغّل هذه اللغات حجرات الرنين في الجهاز النطقي جميعها؛ ولذلك تحتمل جميع الاصوات، وتبني جذرًا رِخوًا من صوامتها المُطعّمة بالصوائت يُصاغ هذا الجذر على وزنٍ مُعيّن؛ لتنتج مفردات أصولٍ في الفصّ المعجمي، تُشتقّ منها مفردات فروع على مستوى الفصّ الصرفي، فيوصف معجمها بأنّه معجم شقيق، وتختار وسيط العلامة المحمولة في فصّها التركيبي؛ لتُعرب عن الحلات التركيبية والوظائف النحوية، وتترتّب مكوناتها في هذا الفصّ على وفق العلاقات التداولية بين المتخاطبين، وتحتمل التراتيب الستة التي يكون كلّ واحد منها أصلًا لا مُحوّلًا من ترتيب آخر.

في المقابل توصف اللغات الشجرية بأنّها لغات اقتصاريّة، لأنّها تقتصر في نطق أصواتها على عدد محدود من حجرات الرنين في الجهاز النطقي على مستوى فصّها الصوتي، ويوصف معجمها بأنّه معجم مسيك؛ لأنّها تبني من أصواتها جِذعًا ثابتًا،

تلحقه اللواصق لاشتقاق ألفاظ محدودة من ذلك الجذع في مستوى فصّها الصرفي، وفي الفصّ التركيبي تختار وسيط الرتبة المحفوظة؛ للتعبير عن الحالات التركيبية والوظائف النحوية، فيكون لها ترتيب واحد ثابت، قد يُشتقّ منه ترتيب آخر بعملية تحويلية هي النقل.

المبحث الثاني

التنميط اللغوي في اللسانيات الوظيفية

اللسانيات الوظيفة اتجاه لسانيّ، يضمّ نظريات كثيرة، يجمعها مبدأ أساسيّ هو أنّ الوظيفة الرئيسة للغات الطبيعية هي التواصل، وأنّ لهذه الوظيفة أثرًا كبيرًا في بنية اللغة. والمقصود بوظيفة التواصل هنا البعد التداولي الذي يحكم العلاقة بين المتكلّم والمخاطب، وهذا البعد يشمل أنساق المعلومات، والمعارف، والمقاصد، والاستدلالات، والاقتضاءات، وسياق الحال، وغير ذلك ممّا يقع خارج سياق البنية اللغوية، ويؤثّر فيها. فهي، إذن، نظريّات تواصليّة مؤسَّسَة تداوليًّا.

إحدى هذه النظريات نظريةُ النحو الوظيفي، التي صاغها اللساني الهولندي (سايمون دك) في سبعينيات القرن المنصرم، وقد تبنّى هذه النظرية الدكتور أحمد المتوكل. قام المتوكل بتطبيق هذه النظرية على اللغة العربية من خلال مجموعة من المؤلّفات والبحوث. وسعى إلى بناء نظرية وظيفية لنحو اللغة العربية من خلال التوليف بين نظرية النحو الوظيفي والنظرية اللغوية العربية التراثية. وقد أسهمت أبحاثه في تطوير هذه النظرية وإغنائها.

مرّت نظرية النحو الوظيفي بتطورات متلاحقة، اقتُرحت فيها نماذج كثيرة، بدءًا بالنموذج ما قبل المعيار (النواة)، ثمّ النموذج المعيار (مستعملي اللغة الطبيعية)، وأخيرًا النموذج ما بعد المعيار (نحو الخطاب الوظيفي).

وكان من الأهداف التي رسمتها نظرية النحو الوظيفي وسعت الى تحقيقها إحرازُ الكفايات الثلاث (التداولية والنفسية والنمطية). في ما يخصّ الكفاية النمطية سعت نظرية النحو الوظيفي الى تنميط اللغات باستكشاف سمات أكبر عدد منها لرصد وجوه الائتلاف والاختلاف في ما بينها ثم تنميطها (٣١).ولتحصيل الكفاية النمطية

وضعت نظرية النحو الوظيفي ضابطين اثنين على النموذج النحوي، أولهما ربط تنميط اللغات بالكليات اللغوية، وثانيهما السعي الى إحراز أكبر قدر ممكن من التجريد في صوغ القواعد؛ كي يتسنّى للوصف أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية وإنْ تباينت أنماطها(٣٢).

و تنطلق نظرية النحو الوظيفي في عملية التنميط من بناء نحو كلّيّ تتفرّع منه أنحاء نمطية لفصائل اللغات المنتمية الى نمط واحد، وأنحاء خاصة للغات معينة، إذ تُعدّ الأنماط اللغوية واللغات الخاصة نتيجةً للتحققات المختلفة لما يتضمّنه النحو الكلي من مبادئ وقواعد. فالنحو الكلي من المطامح التي تسعى إليها نظرية النحو الوظيفي؛ إذ يرى المتوكل أنّ النظرية التي تخلو من نحوٍ كلي تفقد القدرة على تفسير جوانب مهمة من جوانب اللسان الطبيعي، كالتشابه بين اللغات، وسرعة اكتساب الطفل للغة(٣٣).

وينبني النحو الكلّي في هذه النظرية على الكليات اللغوية العامّة التي تُمثّل القواسم المشتركة بين اللغات، وهذه القواسم منها ما هو فطريّ، ومنها ما هو مُكتسب، مع تغليب الجانب المكتسب على الجانب الفطري. فالطفل يواجه محيطه اللغوي بِعُدّة فطريّة تُسهّل عمليّة الاكتساب وتُعجّل بها. وعملية اكتساب الطفل النامي للغة مُسلسلٌ تدريجي قائم على تفاعل الطفل مع محيطه اللغوي، وفي أثناء هذه العملية يكتسب الطفل القدرة على إنتاج اللغة (٣٤). ويرى الوظيفيون أنّ ما يكتسبه الطفل أثناء تعلّمه اللغة ليس معرفة لغوية فحسب، بل معرفة القوانين والأعراف المتحكّمة في الاستعمال الملائم للغة في مواقف تواصلية معيّنة. أي أنّ الطفل يكتسب نسق اللغة، ويكتسب معه الأعراف التي تضبط استعمال هذا النسق في مواقف تواصلية معينة؛ من أجل تحقيق أغراض معينة. فالقدرة على إنتاج اللغة في هذه النظرية هي قدرة تواصلية تشتمل على القواعد الصُوريّة (الصرفية-النحوية)، والقواعد الوظيفية (الدلالية-التداولية) (٣٥).

ويرى المتوكل أنّ البحث عن الكليات في مجالي الدلالة والتداول أجدى من البحث عنها في مجالي الصرف والتركيب؛ لأنّ التناظر بين اللغات في المجالين الأوّلين

أكثر منه في المجالين الآخرين(٣٦). بمعنى أدق ((إن ما يجمع بين اللغات مجموعة من الوظائف تأتلف اللغات أو تختلف في التراكيب التي يُتوسّل بها في تحقيق هذه الوظائف))(٣٧). من هذه المبادئ العامة مثلا: إنّ تصحيح المعلومات وظيفةٌ من الوظائف الكلية تتحقق بحسب أنماط اللغات بتصدير المكوّن الحامل للمعلومة المراد تصحيحها، أو فصله، أو تقييده(٣٨).

ويذهب المتوكل الى أنّ النحو الكلي في نظرية النحو الوظيفي يتّخذ موقفا وسطا بين النمطيّة الصرف والكلية المطلقة؛ لأنّ هذا النحو يسعى الى رصد عملية اكتساب اللغة وتفسيرها، خلافًا للأنحاء النمطية الرافضة لمفهوم النحو الكلي، وهو يسعى في الوقت نفسه الى بناء أنحاء خاصة، وأنحاء نمطية تتفرّع منه (٣٩). فالنحو الكلي ينبني على الكليات الدلالية والتداولية التي تشترك فيها جميع اللغات، ثمّ تتفرّع من النحو الكلي الأنحاء الخاصة والأنحاء النمطية عن طريق تحقيق تلك الكليات الدلالية والتداولية بما تختاره اللغات من وسائل صرفية وتركيبية مختلفة باختلاف اللغات .

ونرى أنّ الجمع بين الكلي والنمطي هو جمع بين متناقضين؛ فكيف يكون النحو كلّيًا ونمطيًّا في وقت واحد؟ إنّ هذه الإشكالية يمكن تفسيرها بوصف النحو الكلي نحوًا مُفترضًا لا واقعيًّا، فهو بنية مُفترضة تُحاكي عملية إنتاج اللغة في ذهن الكائن البشري، وليس بالضرورة أنْ تكون هذه البنية مطابقة تمامًا لبنية أيّة لغة. فقد تتحقق بنية النحو الكلي جزئيًّا في هذه اللغة أو تلك. وعندما تتشابه لغات معيّنة فيما تجتزئه من النحو الكلي نكون بإزاء نحوٍ نمطيّ لذلك النمط من اللغات.

وقد أسهم المتوكل باقتراحات مهمة في مجال التنميط في مرحلتين من تطورات نظرية النحو الوظيفي، إذ قام في المرحلة الأولى بتشغيل نموذج مستعملي اللغة الطبيعية، مقترحا مبدأ (التغليب) في تنميط اللغات، وفي المرحلة الثانية قام بتشغيل نموذج نحو الخطاب الوظيفي معتمدا على مبدأ (الانعكاس البنيوي).

التنميط في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية

يرى أصحاب نظرية النحو الوظيفي أنّ قدرة الفرد على إنتاج اللغة هي قدرة تواصلية، بمعنى أنّ المتكلّمين يملكون قدرة على صوغ العبارات اللغوية في سياقاتها

التواصليّة المعيّنة(٤٠). وبناء على ذلك لا بُدّ أنْ تضمّ القدرة التواصلية، ملكات متنوعة، فضلا عن الملكة اللغوية، وهي: الملكة المنطقية، والملكة الاجتماعية، والملكة الإدراكية، والملكة المعرفية(٤١) .

على أساس هذا التصور للقدرة التواصلية أصبح الهدف الأساسي بناء نموذج تواصلي يجسّد عملية التواصل اللغوي بين مستعملي اللغة يطلق عليه (نموذج مستعملي اللغة الطبيعية). يتكوّن هذا النموذج من خمسة قوالب هي (القالب النحوي، والقالب المنطقي، والقالب المعرفي، والقالب الإدراكي، والقالب الاجتماعي)، يضطلع كل قالب منها برصد ملكة من ملكات القدرة التواصلية الخمس على التوالي. و تشتغل مكونات هذا النموذج بشكل قالبي؛ إذ يستقل كل مكون عن المكونات الأخرى من حيث مبادئه و إواليّاته، لكنها تتفاعل فيما بينها فيشكل كل مكون (دَخْلا – خَرْجا) للمكونات الأخرى(٤٢) .

ويُعدّ هذا النموذج تطوّرًا مهمًّا في نظرية النحو الوظيفي؛ إذ كان النموذج النواة معنيًّا بالتمثيل لبنية الجملة، وهو تمثيل ليس قالبيًّا، وإنّما يحتوي على طبقة واحدة تندرج فيها ثلاث بنيات هي: البنية الحملية، والبنية الوظيفية، والبنية المكونية، وهي بنيات يُمثّل فيها لسمات الجملة الدلالية، والتداولية، والتركيبية. وتمّ الانتقال في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية الى التمثيل لبنية الخطاب. وأصبح النموذج مُتنوّع المستويات والطبقات والقوالب.

وتتكون بنية الخطاب في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية من مستويين: مستوى علاقي (تداولي) ومستوى تمثيلي (دلالي). تندرج في المستوى العلاقي طبقتان: طبقة الوَجه وطبقة الإنجاز(٤٣)، في حين تندرج في المستوى التمثيلي ثلاث طبقات (طبقة التأطير وطبقة التسوير وطبقة الوصف) (٤٤). ويتم التمثيل لهذين المستويين في القالب النحوي الذي يُعد واحدا من خمسة قوالب ترصد ملكات القدرة التواصلية الخمس.

وقد أغنى المتوكل بنية النموذج بمستوى ثالث سمّاه (المستوى البلاغي) يُمثّل فيه لسمات خطابية أساسية كالفضاء التخاطبي الذي يُحدّد المتخاطبين وما يقوم بينهما

من علاقات، وزمان التخاطب ومكانه، والنمط الذي ينتمي إليه الخطاب (سرد، محادثة، علمي، أدبي...)، والأسلوب المُتّخذ (رسمي/غير رسمي، مُهذّب/غير مهذّب...)، و زاد طبقة ثالثة على المستوى العلاقي هي (الطبقة الاسترعائية) يُمثّل فيها للعبارات التي تقوم بوظيفة لفت انتباه المخاطب الى أنّ المتكلم ينوي إمّا الشروع في مخاطبته أو الاستمرار في مخاطبته أو إنهاءها، فضلًا عن ذلك فقد أضاف قالبا الى القوالب الخمسة أسماه (القالب الإبداعي) توكل إليه مهمة رصد ما أسماه (الملكة الشعرية). و اقترح المتوكل أن تفصل الدلالة والتداول عن القالب النحوي ويتم التمثيل لهما في قالبين مستقلين (القالب الدلالي و القالب التداولي) (٤٥).

ويرى المتوكل أن مختلف أقسام الخطاب (من الكلمة الى النص) تؤول الى بنية واحدة اصطلح على تسميتها (البنية الخطابية النموذج)، وتتحقق هذه البنية التحققَ الأمثل في النص، أي أنّ النص هو الخطاب البالغ أعلى درجات الخطابية المستوفي لكل مكونات البنية النموذج وعلاقاتها ثمّ تتلوه الجملة ثم المركّب الاسمي ثم الكلمة المفردة كما يتبين من السلّمية الآتية:

النص > الجملة > المركب الاسمي > الكلمة

وتُدرج البنية الخطابية النموذج في جهاز عام هو نموذج مستعملي اللغة الطبيعية، إذ يُمثّل للمستويين البلاغي والعلاقي في طبقتي بنية تداولية واحدة يضطلع بتحديدها القالب التداولي، في حين يمثّل للمستوى التمثيلي في بنية دلالية يضطلع بتحديدها القالب الدلالي، وتُعد هاتان البنيتان دَخلين للقالب النحوي، الذي ينقلهما بوساطة قواعد التعبير الى بنية مكونية تُتّخذ بوصفها دَخلا للقواعد الصوتية التي تُحيلها الى بنية منطوقة (٤٦).

القوالب الثلاثة (التداولي، والدلالي، والنحوي) هي القوالب الأساسية في عمليتي إنتاج الخطاب وتأويله، وقد تُزاد عليها عند الحاجة قوالب مساعدة كالقالب الاجتماعي والقالب المعرفي والقالب الإبداعي وغيرها (٤٧).

يرى المتوكل أنّ اختلاف أنماط اللغات آيل الى ما يسمّيه مبدأ (التغليب) الذي يحكم الانتقاء الذي تقوم به اللغات داخل بنية الخطاب النموذجية. ويقصد بالتغليب انتقاء مكون من مكونات نموذج مستعملي اللغة الطبيعية وتغليبه على المكونات الأخرى، ويحصل النمط اللغوي حين تقوم اللغات بانتقاء مماثل داخل نموذج مستعملي اللغة(٤٨).

ويتّخذ المتوكل من نموذج مستعملي اللغة الطبيعية- بوصفه نحوا كليا واردا لجميع اللغات- أساسا في التنميط ((فخصائص العبارات اللغوية في جميع اللغات يمكن أن يُمثّل لها على أساس التمييز بين بنية تداولية وبنية دلالية وبنية صورية (صرفية- تركيبية). بل إنّ رصد هذه الخصائص يمكن أن يتم في جميع اللغات بواسطة مستوى بلاغي ومستوى علاقي ومستوى تمثيلي يتضمّن كل مستوى ثلاث طبقات كما تتنبّأ بذلك بنية الخطاب النموذجية. وفي جميع اللغات كذلك يشتغل القالب النحوي على أساس معطيات البنية التداولية والدلالية معا أو معطيات البنية التداولية وحدها حين يتعلّق الأمر بالعبارات اللغوية التي لا فحوى دلاليا معيّنا لها. الاختلاف بين اللغات، إذن، لا يكمن في انتقاء عناصر وإقصاء عناصر بل تغليب عناصر على أخرى))(٤٩) . على هذا الأساس يمكن أن يكون التغليب بين المستويات أو بين الطبقات على النحو الآتي :

١- تغليب المستويات :

يمكن أن يُغلّب مستوى (أو مستويات) على مستوى آخر، فمن اللغات ما يغلب المستويين التداوليين البلاغي والعلاقي على المستوى التمثيلي، ومنها ما يغلب المستوى التمثيلي على المستويين التداوليين. ويطلق المتوكل على الصنف الأول من اللغات (اللغات الموجهة تداوليا)، وعلى الصنف الثاني (اللغات الموجهة دلاليا)، ويُشكّل هذان الصنفان قطبين لمتواصلة واحدة تنمّط فيها اللغات حسب اقترابها من القطب الأول ومن القطب الثاني. ويضع المتوكل اللغة العربية (مع لغات أخر كالألمانية) في خانة اللغات المقتربة من قطب التوجه التداولي، ويضع اللغتين الانكليزية والفرنسية في خانة اللغات المقتربة من قطب التوجه الدلالي (٥٠).

٢- تغليب الطبقات :

يمكن أن تُغلّب طبقة (أو طبقتان) من طبقات المستوى الواحد على طبقة أخرى. فمن اللغات ما يُغلب داخل المستوى التمثيلي، مثلا، الطبقتين الرامزتين الى السمات الحملية (الطبقة الوصفية والطبقة التسويرية) على الطبقة التأطيرية. على هذا الأساس يمكن تصنيف اللغات على لغات جهية ولغات زمنية(٥١).

كما يحصل التغليب في الطبقات من حيث وسائل تحقيق القيم. فالقيم الطبقية يمكن أن تتحقق في صنفين من الوسائل: وسائل معجمية، ووسائل نحوية (صرفية – تركيبية وتطريزية)، يُمثّل للوسائل الأولى بوساطة لواحق، وللوسائل الثانية بوساطة مخصصات تتحقق عن طريق قواعد التعبير في صُرفات، أو تراكيب معينة، أو تطريز معين في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية (٥٢).

في هذا الباب يجد المتوكل أنّ اللغة العربية تستعمل أدوات للتعبير عن قيم الطبقة الوجهية، مثل أداة التوكيد (إنّ)، و أداتي التمني والترجي (ليت، لعل)، في حين تلجأ لغات أخر (كالإنكليزية) الى لواحق وجهية للتعبير عن القيم نفسها. كما يتضح من المقارنة بين الجملتين (١- أ،ب) و الجملتين (٢- a,b) :

١ – أ – إنّ زيدا نجح.

ب – ليت زيدا ينجح.

٢ – a- Certainly, John has succeeded.

B – Hopefully, John will succeed.

بمعنى آخر تتجلى عملية التغليب في اللغة العربية في تفضيل استعمال الصرف على استعمال المعجم، في حين أنّ اللغة الإنكليزية تفضّل استعمال المعجم على الصرف(٥٣).

٣-التغليب والوظائف :

الوظائف في نظرية النحو الوظيفي ثلاث : ١- وظائف دلالية، ويقصد بها الوظائف التي تقوم بها حدود المحمول بالنسبة للواقعة، كأن تكون وظيفة الحد منفّذا، أو متقبّلا، أو مستقبلا، أو أداة، أو مكانا، أو زمانا. ٢- وظائف وَجْهِيّة، ويُقصد بها الوجهة المُنطَلَق منها في وصف الواقعة الدال عليها المحمول، فتُنتقى بعض

الحدود لتكون إما منظورا رئيسا، فيحمل الوظيفة (الفاعل)، وإمّا منظورا ثانويا، فيحمل الوظيفة (المفعول). ٣- وظائف تداولية، وهي علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس المعلومات الإخبارية التي تحملها تلك المكونات وطبقا للطبقات المقامية التي يمكن أن تنجز فيها الجملة، مثل وظيفة المحور، ووظيفة البؤرة. وتتعامل اللغات مع هذه الأنماط الثلاثة من الوظائف باختلاف ما تجتزئه من الرصيد الوظيفي العام المتاح، كما يأتي(٥٤) :

أ- الوظائف الدلالية:

تتّسم بعض اللغات بغنى ملحوظ في اجتزاء الوظائف الدلالية. فاللغة العربية من اللغات التي تُضيف الى الوظائف الدلالية المعروفة (المنفذ والمتقبل والمستقبل وغيرها) وظائفَ خاصة كوظائف (التمييز والمستثنى والحدث). هذه الوظائف الخاصة قد ترد في لغات أخر لكنّها في العربية تتميّز بسمتين : أولاهما اطّراد ورودها، وثانيتهما اختصاصها بتراكيب معينة مرصودة لها. فوظيفة الحدث (المفعول المطلق)، مثلا، تتحقق في اللغة العربية بوساطة إوالية مخصوصة يسمّيها المتوكل (تضعيف المحمول) قوام هذه الإوالية التعبير عن الوظيفة المعنية بالأمر باسم من لفظ المحمول كما في الجملة :

- ضرب زيد بكرا ضربا.

وتتميز هذه الإوالية في العربية بإنتاجية عالية قلّما توجد في لغات أخر. فالعربية تُسخّر تضعيف المحمول لتحقيق سمات كثيرة منها السمة الوجهية (التوكيد)، كما في الجملة السابقة، وسمات (الكيف) و(العدد) و(الهيئة) كما في الجمل الآتية:

- ضرب خالد بكرا ضربا شديدا.
- ضرب خالد بكرا ضربتين.
- جلس خالد من بكر جِلسة المتعلم.

ب- الوظائف الوجهية:

الوظائف الوجهية وظيفتان (الفاعل) و (المفعول). تُسند هاتان الوظيفتان بحسب الوجهة التي يتّخذها المتكلم بالنظر الى الواقعة الدال عليها المحمول.

ويقسّم المتوكل اللغات بالنظر الى استعمال الوظائف الوجهية على ثلاث فئات(٥٥):

١- الفئة الأولى تتميّز باستغنائها كلّيا عن الوظيفتين الفاعل والمفعول معا ويستدلّ على هذا الاستغناء بأنّ لغات هذه الفئة لا تستعمل البناء للمجهول (بالنسبة للفاعل) ولا تراكيب المفعول المزدوج (بالنسبة للمفعول) من هذه اللغات اللغتان الهنغارية والكرواتية.

٢- الفئة الثانية هي التي يرد فيها تركيب البناء للمجهول و لا يرد فيها تركيب المفعول المزدوج، بمعنى أنّ هذه اللغات تنتقي وظيفة الفاعل من دون وظيفة المفعول كاللغة الفرنسية.

٣-الفئة الثالثة تنتقي الوظيفتين الفاعل والمفعول كلتيهما. ومما يلحظ على لغات هذه الفئة أنها تختلف بالنظر الى الموقع الذي تتّخذه مما يسمّى (سلّمية إسناد الفاعل والمفعول). فبعض اللغات تقف في إسناد الفاعل عند المتقبّل أو المستقبل في حين تتجاوز لغات أخر حيّز الموضوعات الى اللواحق، كما يحصل في اللغة العربية التي تسوّغ صوغ البناء للمجهول من لاحقي الزمان والمكان كما في الجملتين:

- سُهرت ليلةُ طربٍ.
- سيرَ فرسخان.

ج- الوظائف التداولية:

تستعمل جميع اللغات الوظيفتين التداوليتين المحور والبؤرة ولكنّها تختلف في استعمال فروع كلّ من هاتين الوظيفتين. فكما هو معلوم تتفرّع وظيفة المحور الى محور جديد ومحور معطى ومحور معاد، ولوظيفة البؤرة فروع تختلف باختلاف نوع التبئير من هذه الفروع بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة التي تتفرع بدورها الى بؤرة انتقاء وبؤرة تعويض وبؤرة حصر وبؤرة تعيين وغيرها. فروع كل من المحور والبؤرة لا ترد كلّها في جميع اللغات، فمن اللغات ما ينتقي فرعا معيّنا أو فروعا معينة من مجالي المحورية والبؤرية إذا كانت اللغة تُفرد لتحقيق ذلك الفرع أو تلك الفروع إواليات مخصوصة

صرفية أو تركيبية أو تطريزية يُستثنى من ذلك اللغة العربية التي تتميّز بانتقاء جميع فروع المحورية والبؤرية(٥٦).

٤- التغليب والقوالب :

يتكون نموذج مستعملي اللغة الطبيعية من مجموعة من القوالب تنقسم الى قوالب مركزية (القالب التداولي، والقالب الدلالي، والقالب النحوي)، وقوالب مساعدة (القالب الاجتماعي، والقالب المنطقي، والقالب المعرفي ...). ويتضمّن كل قالب مجموعة من القويلبات كما هو شأن القالب النحوي الذي يتفرّع الى قويلب صرفي وقويلب تركيبي وقويلب صوتي.

تقدّم أن من اللغات ما يقدّم المستويين التداوليين البلاغي والعلاقي ومنها ما يغلّب المستوى التمثيلي. في ما يخصّ الفئة الأولى يمكن عدّها من اللغات التي تغلّب القالب التداولي على القالب الدلالي ويؤثر هذا التغليب في قويلبات القالب النحوي. ومن مظاهر هذا الضرب من التغليب ما يأتي(٥٧):

أ- لتحقيق القوة الإنجازية (الاستفهام) تُشغّل لغاتٌ قويلبات القالب النحوي ثلاثتها فتُحقق هذه القوة الإنجازية بتضافر صُرفة ورتبة وتنغيم، كما تفعل اللغة الإنكليزية. في المقابل تكتفي لغات أُخر بتشغيل القويلبين الصرفي والصوتي (التطريزي) من دون القالب التركيبي، كما يحصل في اللغة العربية.

ب- أما ما يخصّ الوظائف، فلتحقيق الوظائف الدلالية تلجأ اللغات عامة الى الصرف مع اختلاف بين التي تُسخّر لذلك الحروف كالإنكليزية والفرنسية، والتي تستعمل الحالات الإعرابية كالعربية، والتي تستعمل لواصق مخصوصة كاليابانية. ولتحقيق الوظيفتين الوجهيتين (الفاعل والمفعول) تلجأ لغات الى الصرف والإعراب كالعربية، في حين تُسخّر لغات أخر ترتيب المكونات كالإنكليزية والفرنسية. أمّا الوظائف التداولية فيغلب أن تتحقق بوساطة الرتبة في اللغات التي تستعمل الصرف للتعبير عن الوظائف الدلالية والوجهية كاللغة العربية، وبوساطة تراكيب مخصوصة مثل (الفصل) و (شبه الفصل) في اللغات التي تُسخّر الرتبة لتأدية وظيفتي الفاعل والمفعول كالإنكليزية والفرنسية.

على أساس ما تقدّم يعقد المتوكل مقارنة بين اللغات الموجهة تداوليا واللغات الموجهة دلاليا كما يأتي (٥٨):

أ- اللغات الموجهة تداوليا:

تتميّز اللغات الموجهة تداوليا من اللغات الموجهة دلاليا بالسمات العامة الآتية:

١- يُغلّب هذا النمط من اللغات القالب التداولي. ويتجلّى هذا التغليب في الاجتزاء الأقصى من الرصيد الذي توفّره البنية الخطابية النموذج بالنظر الى المستويين البلاغي والعلاقي وبالنظر الى مجالي الوظائف التداولية المحوري والبؤري.

٢- يمكن أن توصف لغات هذا النمط بأنّها لغات (غنيّة صرفيا) ويتجلّى غناها الصرفي في انّها تُغلّب تحقيق قيم الطبقات بوساطة أدوات صرفية في مقابل اللواحق المعجمية.

٣- بفضل الغنى الصرفي، تتمكن هذه اللغات من تسخير الإعراب للدلالة على الوظائف الدلالية والوجهية والاحتفاظ بالرتبة لتحقيق الوظائف التداولية.

ب- اللغات الموجهة دلاليا:

تتميّز اللغات الموجهة دلاليا من اللغات الموجه تداوليا بالسمات العامة الآتية:

١- ليس المكون التداولي منعدما في هذا النمط من اللغات بل هو مُقلّص إذا ما قورن بمقابله في اللغات الموجهة تداوليا. من مظاهر هذا التقليص ما يأتي:

أ- الاكتفاء بما هو ضروري بالنسبة للمركز الإشاري كما يتبين من المقارنة بين الجملة العربية (١) والجملتين الإنكليزيتين (٢ a-b) :

١- قرأت هذا الكتاب.

٢ – a- I read this book.

B – I read this the book. ???

إذ يلحظ انّ الإشارة والتعريف تردان في العربية وعدم إمكان ورودهما في الإنكليزية.

ب- قصر معاني النداء وأدواته وصيغه على صيغة معيار واحدة قد تواكبها أداة واحدة.

٢ – تُسخّر هذه اللغات اللواحق للتعبير عن قيم مختلف الطبقات أكثر مما تسخر الوسائل الصرفية.

التنميط اللغوي في نموذج نحو الخطاب الوظيفي:

بعد أن اتّخذ المتوكل، في نموذج مستعملي اللغة الطبيعية، المستويين التحتيين العلاقي (التداولي) والتمثيلي (الدلالي) أساسا في تنميط اللغات من خلال تغليب أحدهما على الآخر وجد أنّه لضبط عملية التنميط اللغوي لا بدّ من الأخذ بالحسبان المستوى البنيوي (الصرفي – التركيبي).

اقترح اللساني الأمريكي (هنخفلد) صوغ نحو الخطاب الوظيفي استنادا الى ما يقوم به المتكلم عند عملية انتاج الخطاب، فالمتكلم ((ينتج العبارة اللغوية في مراحل أربع: تحديد القصد فتحديد الفحوى المناسب للقصد فصوغ القصد والفحوى في تركيب مناسب ثم أخيرا تحقيق هذا التركيب نطقا أو رسما)) (٥٩). و لمحاكاة هذه المراحل الأربع صيغ نحو الخطاب الوظيفي بما يقابل هذه المراحل من مستويات هي: المستوى العلاقي (التداولي)، والمستوى التمثيلي (الدلالي)، والمستوى الصرفي التركيبي (البنيوي)، والمستوى الصوتي (٦٠).

ويتكون نموذج نحو الخطاب الوظيفي من أربعة مكونات أو قوالب: مكون مركزي هو المكون النحوي، ومكونات مساعدة هي المكون المفهومي (أو المعرفي) والمكون السياقي والمكون الإصاتي(٦١).

يضطلع المكون النحوي بتحديد سمات الخطاب باستعمال إواليتين هما إوالية (الصياغة) و إوالية (التعبير). يتم في الإوالية الأولى التمثيل لخصائص الخطاب العَلاقيّة في شكل فعل خطابي يتضمّن فحوى قضويا قوامه فعل إحالي وفعل حملي(٦٢) ، و يتم التمثيل لخصائص الخطاب الدلالية. والبنيتان الآتيتان توضح ذلك (٦٣):

(فعل خطابي: ﴿ إنجاز: ﴿فحوى قضوي: ﴿ (فعل إحالي) (فعل حملي) ﴾)
(مخصص واقعة: ﴿ محمول (س١) ... (س ن) (ص١) ... (ص ن) ﴾)

ناتج عملية الصياغة هذه مستويان تحتيان هما المستوى العلاقي (التداولي) والمستوى التمثيلي (الدلالي). أما الإوالية الثانية (إوالية التعبير) فتضطلع بنقل المستويين التحتيين (العلاقي والتمثيلي) الى مستوى بنيوي بإجراء فئتين من القواعد: قواعد صرفية-تركيبية، وقواعد صوتية. وتُستمد قواعد التعبير هذه موادّها الخام من الخزينة الخاصة بها، هذه المواد أطرٌ تركيبية ووظائف تركيبية ومخصصات صرفية تتحقق في شكل صُرفات لواصق أو صرفات أدوات (٦٤).

يقترح المتوكل، في إطار نموذج نحو الخطاب الوظيفي، مقاربةً للتنميط تقوم على مبدأ (الانعكاس البنيوي) مع الاحتفاظ بروح مفهوم (التغليب). ويقصد بالانعكاس ((تحقق عناصر مستوى تحليلي ما في عناصر مستوى تحليلي آخر))(٦٥)، بمعنى أدق هو انعكاس المستويين التحتيين (العلاقي والتمثيلي) في المستوى البنيوي (الصرفي – التركيبي)، مع افتراض أن تعكس البنية الصرفية – التركيبية أسبقية التداول على الدلالة، على أساس أنّ عملية إنتاج الخطاب تبدأ من القصد ثم الفحوى ثم صياغة القصد والفحوى بشكل صرفي – تركيبي و أخيرا التحقق الصوتي أو الخطّي (٦٦).

حصيلة عملية الانعكاس هذه الحصول على تراكيب إمّا شفافة وإمّا كاتمة. فيكون التركيب شفافا ((حين يرد المستوى البنيوي مفصولا فيه بين مجال المستوى العلاقي والمستوى التمثيلي. بتعبير آخر، يكون التركيب في لغة ما شفافا إذا كان المستويان التحتيان العلاقي والتمثيلي في هذه اللغة يتحققان في المستوى البنيوي في مجالين مستقلّين منفصلين)) (٦٧)، كما توضّح ذلك البنية الصرفية – التركيبية الآتية:

مجال علاقي ﴿ رأس ﴾ مجال تمثيلي

حيث يؤوي المجال العلاقي المكونات المحورية والمكونات البؤرية والمكونات الإنجازية (كأدوات الاستفهام) في حين يؤوي المجال التمثيلي الفضلات التي لا حمولة تداولية لها(٦٨).

في المقابل يكون التركيب كاتما ((حين لا يتبين في المستوى البنيوي ما هو تحقق للمستوى العلاقي و ما هو تحقق للمستوى التمثيلي حيث تمتزج العناصر الآتية من هذين المستويين في مجال صرفي – تركيبي واحد)) (٦٩).

على أساس انعكاس المستويين العلاقي والتمثيلي في المستوى الصرفي التركيبي وما ينتج من ذلك الانعكاس من تراكيب شفافة وتراكيب كاتمة، يقسّم المتوكل اللغات على نمطين رئيسين: لغات شفافة التركيب ولغات كاتمة التركيب، وتتدرّج اللغات الأخر بين هذين النمطين حسب دنوّها أو ابتعادها من أحدهما، ويُحدّد تدرّج مفهومي الشفافية والكتامة في أمرين مترابطين (٧٠):

الأوّل سَعة المجال العلاقي: إذ تصل اللغة الى وضع الشفافية الأمثل حين يُفرد موقع خاص لكل عنصر من العناصر الواردة في المستوى العلاقي فتكون البنية الموقعية في هذا المجال كالآتي:

﴿ صدر ﴾ ﴿ محور ﴾ ﴿ بؤرة ﴾ ﴿ وجه ﴾ ﴿ رأس ﴾ ﴿ مجال تمثيلي ﴾

والآخر الفصل بين المجال العلاقي والتمثيلي: فتبلغ الشفافية منتهاها حين يُفصل بين المجال العلاقي والتمثيلي فصلا تامّ، إذ تُجمّع كل العناصر ذات الحمولة التداولية في المستوى العلاقي وتتموقع العناصر ذات الحمولة الدلالية في المستوى التمثيلي. لكنّ اللغات غالبا ما تظلّ دون هذا الوضع المثالي للشفافية فتختلف باختلاف درجات مشارفتها له.

الانعكاس في اللغة العربية ولغات أخر:

يأخذ المتوكل عيّنة من اللغات للمقارنة بينها في ضوء الإطار التنميطي القائم على ثنائيتي الشفافية/الكتامة. ويتّخذ من اللغة العربية مرجعا أوّليّا في مقابل لغات أخر منها اللغتان الإنكليزية والفرنسية.

١ – حيّز الانعكاس: علاقي / تمثيلي:

يتضمّن كل مستوى من المستويات التحتية طبقاتٍ يعلو بعضها بعضا تتحقق في المستوى الصرفي – التركيبي على شكل مخصصات ووظائف.

يتضمّن المستوى العلاقي فعلا خطابيا يتضمّن قوة إنجازية ومؤشّري المتكلم والمخاطب وفحوى خطابيا يتضمّن فعلا حمليا وفعلا إحاليا. وتنعكس مكونات المستوى العلاقي في المستوى الصرفي – التركيبي على شكل مخصصات تؤشّر للقوة

الإنجازية كالاستفهام وللوجه كمخصص التوكيد ولواحق إنجازية أو وجهية، وعلى شكل وظائف كوظيفتي المحور وبؤرة المقابلة.

ويتضمّن المستوى التمثيلي مخصصات المحمول الزمنية (مضي، حال، استقبال)، والجهيّة (تام/غير تام، مستمر/متكرر...)، والمحمول ومحلات موضوعاته، وما تحمل هذه الموضوعات من وظائف دلالية (منفذ، متقبل، مستقبل...)، ومخصص الحد (مذكر/مؤنث، مفرد/جمع).

تتآلف اللغات في إفرادها للعناصر الواردة من المستويين العلاقي والتمثيلي حيّزين اثنين مفصولا بينهما في أغلب الحالات، لكنّها تختلف من حيث السعة التي تمنحها لكل حيّز، فمنها ما يُغلّب من حيث الطاقة الإيوائية الحيّز العلاقي على الحيّز التمثيلي ومنها ما يُفعّل العكس(٧١).

ففي اللغة العربية يتضمّن الحيّز المتاح للعناصر العلاقية ثلاثة مواقع كما يتبين من الترسيمة الآتية:

﴿﴿م١ م٢ م٣ ﴿...﴾﴾﴾ جملة

العناصر الواردة من المستوى العلاقي هي مركبات اسمية بؤرا أو محاور وأدوات إنجازية (أدوات استفهام) وأدوات وجهية (أدوات تقوية كالتوكيد) ولواحق (ظروف) إنجازية أو وجهية. ففي الجملة الآتية:

- بصراحة أ زينب قابلت (أم غير زينب) ؟

العناصر علاقية المصدر في هذه الجملة هي اللاحق الإنجازي (بصراحة) وأداة الاستفهام (الهمزة) والمركب الاسمي الحامل للوظيفة التداولية بؤرة المقابلة (زينب) . هذه المكونات الثلاثة تحتل المواقع (م١ م٢ م٣) على التوالي.

رائز امتلاء الحيّز العلاقي بالمواقع الثلاثة عدم إمكان إضافة مكون آخر كما يدلّ على ذلك لحن الجملة:

- بصراحة أ حقّا زينب قابلت ؟

يفسّر لحن هذه الجملة، حيث يتواجد في الموقع نفسه مكونان اثنان، خرقُه لقيد (أحادية الموقعة) القاضي بأن (لا يحتل الموقع أكثر من مكون واحد). ففي هذه الحال يُزحلق أحد المكونين الى الحيّز التمثيلي كما في التركيبين السليمين الآتيين:

- بصراحة أ زينب قابلت حقا ؟
- أ زينب حقا قابلت بصراحة ؟

وتختلف اللغتان الإنكليزية والفرنسية عن اللغة العربية من حيث المساحة التي تمنحها للحيز العلاقي من البنية الصرفي- التركيبية، مكمن هذا الاختلاف في (٧٢):

١- لا يتضمّن هذا الحيّز في اللغتين إلا موقعا واحدا الموقع (م١) الخاضع لقيد أحادية الموقعة.

٢- لا توجد في هاتين اللغتين أدوات إنجازية في مقابل أدوات الاستفهام في العربية مثلا؛ مما يؤدي الى أن يظل الموقع (م١) شاغرا وقابلا لإيواء لواحق إنجازية أو وجهية.

٣-يتمّ تبئير المقابلة في اللغة العربية بوساطة تصدير المكون المبأر كما هو الشأن في الجملة :

- هندا سيقابل خالد.

أمّا في اللغتين الإنكليزية والفرنسية فإنّ الغرض نفسه يؤدّى عبر استراتيجية ما يسمّى (الفصل)، أي فصل المكون المراد تبئيره بإحلال الحاضنتين (It ... that) (Cest ... que) كما هو الشأن في الجملتين (a,b) المقابلين للجملة العربية السابقة:

a – It is Hind that Khalid will meet.

B – Cest Hind que Khalid rencontrera.

٢ – وسائل الانعكاس : صرف / تركيب / تطريز

تستعمل اللغات وسائل معينة لتحقيق المستويين العلاقي والتمثيلي في سطح العبارة اللغوية. هذه الوسائل إمّا أن تكون وسائل صرفية (صُرفات حرّة، أدوات، لواصق ...) أو وسائل تركيبية (رتبة، تراكيب مخصوصة ...) أو وسائل تطريزية (نبر، تنغيم) كما يأتي (٧٣):

١- يضطلع الصرف غالبا بتحقيق المخصصات مع اختلاف في طبيعة الصرف من لغة الى لغة أخرى. فهو صرف صاهر في اللغة العربية وصرف إلصاقي في اللغتين الإنكليزية والفرنسية في حين يكون صرفا عازلا في لغات أخر. كما يتبين من المقارنة بين صورة الفعل في الجملة (أ) وصورتيه في مرادفتيها (a,b) :

أ - اجتاز عليّ الامتحان.

a-Ali pass-ed the exam successfully
b-Ali pass-a l examen avec success

٢- يمكن أن يُسخّر التركيب في تحقيق المخصصات. مثال ذلك ما يحصل في الجملة التعجبية في كل من اللغتين الإنكليزية والفرنسية بخلاف اللغة العربية التي يتم فيها التعجب صرفيا (بوساطة صيغتي ما أفعله و أفعل به) كما يتبين من الجملتين (a,b) إذ التعجب مدلول عليه بالرتبة في مقابل الجملة العربية (أ):

أ - ما أجملها ! / أجمل بها !

a-Is she beautiful !
b-Est-elle belle

استراتيجية الرتبة تستخدمها اللغتان أيضا في تحقيق مخصص الاستفهام:

أ - هل سيعود؟

a-Will he come back?
b-Reviendra-t-il ?

٣-يمكن أن يقوم التنغيم بأحد دورين: دور الوسيلة الأساسية ، و دور الوسيلة المصاحبة. يقوم التنغيم بدور الوسيلة الأساسية حين يضطلع وحده بتحقيق المخصص كما هو الشأن في الجمل الآتية:

أ - سيعود ؟

a-He will come back ?
b-Ii reviendra ?

ويقوم بدور الوسيلة المصاحبة في التراكيب التي من قبيل:

أ - هل سيعود؟

a-Will he come back ?
b-Reviendra-t-il ?

حيث يواكب التنغيمُ الصرفَ والتركيب في تحقيق القوة الإنجازية الاستفهام.

أمّا تحقق الوظائف فيتمّ على وفق ما يأتي (٧٤):

١- تنعكس الوظائف الدلالية صرفيا إمّا بوساطة الإعراب أو بوساطة حروف. ينطبق المسلك الأول على اللغة العربية، إذ تُسند الحال الإعرابية النصب الى المكونات الحاملة لوظائف دلالية ما لم تكن هذه المكونات مسبوقة بحرف جر، وما لم تُسند إليها لاحقا الوظيفة التركيبية الفاعل كما يحدث في التراكيب المبنية للمجهول. أمّا المسلك الثاني فينطبق على اللغات غير الإعرابية كالإنكليزية والفرنسية.

٢- تتحقق الوظائف التداولية بالتركيب إمّا بوساطة الرتبة (التقديم أساسا) وإمّا بوساطة بنيات مخصوصة كبنية الفصل المشار إليها سابقا. ويمكن أن تتحقق صرفيا بوساطة لاصقة لاحقة كاللاصقة (wa) الدالة على المحور في اللغة اليابانية.

و أخيرا يصوغ المتوكل السلّميتين الآتيتين عن تحقق المخصصات والوظائف:

١- تحقق المخصصات: صرف (+ تنغيم) > تركيب (+تنغيم) > تنغيم

٢- تحقق الوظائف: تركيب (+تنغيم) > صرف > تنغيم

يُفاد من السلّمية (١) أن المكون الذي يضطلع بتحقيق المخصصات في المقام الأول هو الصرف مصحوبا بالتنغيم أو غير مصحوب به، ثم يليه التركيب مصحوبا بالتنغيم أو من دونه ثم التنغيم المحض. ويُفاد من السلمية (٢) أن التركيب يُمثّل الوسيلة الأساسية لتحقيق الوظائف التداولية مصحوبا بالتنغيم أو من دونه ثم يليه الصرف ثم التنغيم المحض كما هو الشأن في وظيفة بؤرة الجديد(٧٥).

وأخيراً يربط المتوكل بين التنميط المقترح في ضوء نموذج مستعملي اللغة الطبيعية، والتنميط المقترح في ضوء نموذج نحو الخطاب الوظيفي، وينتهي إلى أنّ اللغات الموجهة تداوليًّا غالبًا ما تكون شفافة التركيب، بخلاف اللغات الموجهة دلاليًّا التي تكون كاتمة التركيب. وعلى هذا الأساس يحصر المتوكل اللغات في نمطين اثنين: اللغات الموجهة تركيبيا الشفافة التركيب، واللغات الموجهة دلاليا الكاتمة التركيب(٧٦).

الخاتمة:

سعينا في هذا البحث الى تتبّع عملية التنميط اللغوي في الدرس اللساني العربي، فوجدنا أن عملية التنميط اللغوي كانت من نتاجات الدرس اللساني الغربي، ولم يكن لعلماء العربية القدماء إسهام في هذا المجال؛ لأنّهم لم يكونوا معنيين بوضع نظرية للغات الإنسانية، بل كان جُهدهم منصبّاً على الكشف عن النظام اللغوي للعربية؛ لأنّها كانت مُهدّدة بتفشّي ظاهرة اللحن على ألسنة الناطقين بها . وقد كان الأساس الذي صدرت منه عملية التنميط اللغوي هو المقارنة بين اللغات على أساس الانتماء السلالي، والتشابه بين أصوات اللغات ومفرداتها، ثم على أساس التشابه في الخصائص التركيبية، ثم انتقلت عملية تنميط اللغات الى مرحلة أعمقَ بظهور اللسانيات الحديثة، إذ لم يعد المستوى البنيوي للعبارات اللغوية مائزًا وحيدًا، بل دخلت مستويات أخرى، كالمستوى الدلالي، والمستوى التداولي، وأصبحنا بإزاء منهج جديد من التنميط يتميّز بما تتميّز به اللسانيات الحديثة من البناء النظري و التمثيل المجرّد لعملية إنتاج اللغة وفهمها.

و وجدنا أنّ البحث في التنميط اللغوي لم يكن من اجل اللغات أنفسها، بل كان بدافع عرقي أو ديني، ولكن بظهور اللسانيات الحديثة اصبح التنميط اللغوي أحد الأهداف المهمّة التي تسعى إليها النظريات اللسانية، إذ لا بدّ للنظرية اللسانية من أن تنطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات، فلا بدّ لها من معرفة الأنماط اللغوية، ومن ثَمّ بناء جهازها الواصف بشكل ينسجم مع تلك الأنماط اللغوية. ومعنى ذلك أن البحث في التنميط اللغوي أصبح من أجل اللغات أنفسها لا لسبب خارج عن اللغات.

وبعد أن انتقل الدرس اللساني الى العالم العربي منذ خمسينيات القرن الماضي حتى يومنا، لم نجد إلا محاولتين وحيدتين في مجال التنميط اللغوي. وهما محاولتان مهمّتان في هذا المجال، اتّسمتا بوحدة الرؤية النظرية والمنهجية المحددة بالأصول اللسانية. الدراسة الأولى قدّمها الدكتور محمد الأوراغي، وهي دراسة تردّ على

نظرية تشومسكي الساعية الى بناء نحو كلي، والدراسة الأخرى قدّمها الدكتور أحمد المتوكل في ضوء نظرية النحو الوظيفي.

انبَنَتْ نظرية الأوراغي (اللسانيات النسبية) على ما قدّمه تشومسكي في نظرية (اللسانيات التوليدية)، إذ انتقد الأوراغي الأصول التي أسّس عليها تشومسكي نظريته، بدءاً بنظرته الى طبيعة الملكة اللغوية وكونها مطبوعة خِلْقَة في ذهن الإنسان، وما ترتّب عن ذلك من بناء نحو كليّ، وانتهاءً بتنميط اللغات. فذهب الأوراغي الى أنّ اللغة ملكة مُكتسبة، ومادامت كذلك فهي قابلة للاختلاف، وسعى الى حصر الاختلاف بين اللغات في نمطين اثنين، هما: اللغات التوليفية، واللغات التركيبية. منشأ هذا الاختلاف راجع الى تقابل الوسيط اللغوي الذي تختاره لغات كل نمط في كل مستوى لغوي.

وسعى أصحاب نظرية النحو الوظيفي الى بناء نحو كليّ يتوسّط بين الكلي المطلق والنمطي الصرف، ووجدنا النحو الذي يسعى إليه المتوكل هو نحو افتراضي ليس له تحقق تام في أية لغة إنسانية. بل يتحقق جزئيًا في هذه اللغة أو تلك. وعندما تتشابه لغات معيّنة فيما تجتزئه من النحو الكلي نكون أمام نحوٍ نمطيّ لذلك النمط من اللغات. وكانت نظرة الوظيفيين الى اللغة على انّها ليست ملكة فطرية، ولا ملكة مكتسبة، وإنّما هي ملكة تجمع بين الفطري والمكتسب. وأنّ الكلّيات اللغوية التي تشترك فيها اللغات هي السمات التداولية والدلالية.

قدّم المتوكل تنميطًا للغات على مرحلتين : في المرحلة الأولى اقترح تنميطًا في ضوء نموذج مستعملي اللغة الطبيعية، مُستندًا الى مبدأ التغليب، وقسّم اللغات على نمطين، النمط الأوّل (اللغات الموجّهة تداوليًّا)، والنمط الآخر (اللغات الموجّهة دلاليّاً). وفي المرحلة الثانية قام بتشغيل نموذج نحو الخطاب الوظيفي معتمدا على مبدأ (الانعكاس البنيوي)، وقسّم اللغات على نمطين رئيسين: لغات شفافة التركيب ولغات كاتمة التركيب. ثم يربط المتوكل بين التنميط المقترح في المرحلة الأولى، والتنميط المقترح في المرحلة الثانية، وينتهي إلى أنّ اللغات الموجهة تداوليًّا غالبًا ما تكون شفافة التركيب، بخلاف اللغات الموجهة دلاليًّا التي تكون كاتمة التركيب.

وعلى هذا الأساس يحصر المتوكل اللغات في نمطين اثنين: اللغات الموجهة تركيبيا الشفافة التركيب، واللغات الموجهة دلاليا الكاتمة التركيب. وهذا الربط بين التنميط المقترح في المرحلة الأولى والتنميط المقترح في المرحلة الثانية يكشف عن ارتباط النموذجين الوظيفيين، واستنادهما الى المبادئ الأساسية لنظرية النحو الوظيفي.

ملخّص البحث

يُعدّ التنميط اللغوي من المطامح المهمّة التي تتوق إليها أيّة نظرية لسانية. فمنذ أنْ حدّد سوسير موضوع اللسانيات بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، تسعى اللسانيات إلى أنْ تكون علمًا عالميًّا، يتناول اللغةَ بوصفها ظاهرة إنسانية يشترك فيها البشر جميعهم . وعلى هذا الأساس ينبغي على النظرية اللسانية أنْ تؤسّس على مبادئ شاملة تنطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات، فلا بدّ لها من معرفة الأنماط اللغوية، ومن ثَمّ بناء جهازها الواصف بشكل ينسجم مع تلك الأنماط اللغوية. وقد عُني هذا البحث بمجال التنميط اللغوي في اللسانيات، متتبّعًا بداياته وتطوراته ، ثمّ ركّز على الجهود المبذولة في هذا المجال عند اللسانيين العرب.

Abstract

Language profiling is one of the important aspirations of any linguistic theory. Since Susser has defined the topic of linguistics by studying the language itself and for itself, linguistics seeks to be a universal science. On this basis, linguistic theory should be based on universal principles that apply to as many languages as possible. It must know the linguistic patterns and thus construct its descriptive apparatus in a manner consistent with those linguistic patterns. This research concerned the field of linguistic profiling in linguistics, following its beginnings and developments, and then focused on the efforts exerted in this field by the Arab Linguists .

هوامش البحث

(١) ينظر: موجز تاريخ علم اللغة، روبنز : ٢٣٨- ٢٤٢ .

(٢) ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني: ١١٣ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٤ .

(٤) ينظر: الاتجاهات المعاصرة في دراسة تطور اللغة، أحمد عبد العزيز دراج : ٦٠ .

(٥) ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي: ٥٥، وعلم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ١٩٥ – ١٩٦ .

(٦) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ١١٥-١١٧، ونظرات في اللغة، انيس فريحة: ٢٨-٣٠ ، ومباحث في اللسانيات، أحمد حساني : ١١٤-١١٥ .

(٧) ينظر: أسس علم اللغة: ماريو باي: ٥٧، وإنسان الكلام، كلود حجاج: ٨٩ .

(٨) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ١١٧ .

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١١٨ .

(١٠) إنسان الكلام، كلود حجاج: ٨٩ .

(١١) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي: ٢٢٦.

(١٢) ينظر: التركيبيات الوظيفية، أحمد المتوكل : ١٨٩، والوسائط اللغوية، محمد الأوراغي: ٤٧٢/٢ .

(١٣) نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، محمد الأوراغي: ١٩٦ .

(١٤) اللسانيات التوليدية من التفسير الى ما وراء التفسير، تشومسكي: ١٣ .

(١٥) المصدر نفسه: ١٥ .

(١٦) ينظر: الوسائط اللغوية، محمد الأوراغي: ١٣/١ .

(١٧) ينظر : المعرفة اللغوية، تشومسكي: ٥٣-٥٤ ، اللغة والعقل، واللغة والطبيعة، تشومسكي: ١٨ .

(١٨) ينظر : نظرية اللسانيات النسبية ونحو اللغة العربية التوليفي، محمد الأوراغي (بحث): ١٨ .

(١٩) ينظر: نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، حسام البهنساوي:٧ .

(٢٠) ينظر : الوسائط اللغوية : ١/ ١٣٤ .

(٢١) ينظر : المصدر نفسه : ١/ ١٨ .

(٢٢) ينظر : نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة: ١٩٦ .

(٢٣) التواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية، عز الدين البوشيخي: ٥١ الهامش ١ .

(٢٤) ينظر : اللسانيات التوليدية من النموذج المعيار الى البرنامج الأدنوي، امحمد الملاخ، وحافظ اسماعيلي علوي: ٣١٤ .

(٢٥) ينظر : اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، عبد القادر الفاسي الفهري: ٤٩/١ ، والبناء الموازي، عبد القادر الفاسي الفهري: ١٩ .

(٢٦) ينظر : نحو اللغة العربية التوليفي، محمد الأوراغي (بحث): ٥٣ .

(٢٧) ينظر : الوسائط اللغوية : ٦٠٧/٢ .

(٢٨) ينظر : اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، محمد الأوراغي: ٢٧٠-٢٧١ .

(٢٩) ينظر : نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة: ٢٠٣ .

(٣٠) ينظر : الوسائط اللغوية: ٦٨٨/٢- ٦٧١ ، واللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية: ١٥٦، وبصائر اللسانيات، الأوراغي: ٢٥-٣٠، ونظرية اللسانيات النسبية ونحو اللغة العربية من اللغات التوليفية، الأوراغي: ١٢

(٣١) اللسانيات الوظيفية المقارنة، أحمد المتوكل : ٩١ .

(٣٢) ينظر: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل: ٩ - ١٠ ، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل: ١٣٧ - ١٣٩ .

(٣٣) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل: ٦٦-٦٨ .

(٣٤) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية: ٦٣-٦٤ .

(٣٥) اللسانيات الوظيفية : ١٥-١٦، ٨٤-٨٥ .

(٣٦) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية: ٦٧ .

(٣٧) المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، أحمد المتوكل : ٣٥ .

(٣٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥ .

(٣٩) ينظر : الوظيفية بين الكلية والنمطية : ٧٠-٧١ .

(٤٠) ينظر : آللسانيات الوظيفية: ٨٥ .

(٤١) ينظر : الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد المتوكل: ١٣.

(٤٢) ينظر : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل : ٩ .

(٤٣) الوَجه هو ما يُعبّر به المتكلّم عن موقفه من فحوى القضيّة، كأن يستحسن، أو يستقبح، أو يندهش، أو ينفي، أو يُثبت، أو يؤكّد، والإنجاز هو ما يُعبّر عن القوّة الإنجازية كالاستفهام او الإخبار او الامر .

(٤٤) يقصد بالطبقة الأولى تأطير الواقعة زمانيا كالدلالة على الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ويقصد بالثانية تسوير الواقعة أو تحديدها من الخارج كمّيا أو عدديا ويستعمل لذلك

السمات (متكرر، معتاد، كثير)، ويقصد بالثالثة وصف المراحل الداخلية لتحقق الواقعة ويُستعمل لذلك السمتان (تام، غير تام) ويقصد بالسمة التام تحقق الواقعة بوصفها كُلا غير مُجزّأ في حين يقصد بالسمة غير التام أن يُنظر الى الواقعة من زاوية إحدى مراحل تحقيقها كالشروع والمقاربة والدخول وغير ذلك.

(٤٥) ينظر : الوظيفية بين الكلية والنمطية : ٢٧

(٤٦) ينظر : المصدر نفسه: ٣٨ – ٣٩ .

(٤٧) ينظر : المصدر نفسه: ٣٨ – ٣٩ .

(٤٨) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٦ .

(٤٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦ – ١٦٧ .

(٥٠) ينظر : المصدر نفسه: ١٩١ .

(٥١) ينظر : المصدر نفسه: ١٦٨-١٦٩ .

(٥٢) ينظر : المصدر نفسه: ١٦٩ .

(٥٣) ينظر : المصدر نفسه: ١٦٨ – ١٧٠ .

(٥٤) ينظر : المصدر نفسه: ١٧١-١٧٤ .

(٥٥) ينظر : المصدر نفسه: ١٧٢-١٧٣ .

(٥٦) ينظر : المصدر نفسه: ١٧٣-١٧٤ .

(٥٧) ينظر : المصدر نفسه: ١٧٥ .

(٥٨) ينظر : المصدر نفسه: ١٨٧ – ١٨٨ .

(٥٩)التركيبيات الوظيفية: ٦٠ .

(٦٠) ينظر :المصدر نفسه : ٦٠ .

(٦١) ينظر :المصدر نفسه : ٦٢ . ويقصد بالمكون الإصاتي المكون المعني بتحقيق المستوى البنيوي إمّا نطقا وإمّا خطا وإمّا إشارة، أي إنّ وظيفة هذا المكون هي (إنطاق) المستوى البنيوي الذي يظلّ قبل ذلك بنية مجرّدة.

(٦٢) الفعل الخطابي هو الوحدة الدنيا للخطاب، بمعنى أنّه كلُّ ما يُمثّل وحدة تواصلية. ويتكوّن الفعل الخطابي من قوّة إنجازية (خبر، استفهام، أمر،...) ومؤشّري المتكلم والمخاطب، وفحوى قضويّ يشير الى دلالة مجموع مكونات الجملة مضمومة. و يتكوّن الفحوى القضوي من فعل إحاليّ وفعل حمليّ. الفعل الإحالي هو الذي يسمح بربط

الصلة بين المتكلّم والمخاطب من خلال الإحالة على الذوات، والفعل الحملي يُمثّل العلاقة القائمة بين المحمول والموضوع، أي نسبة المحمول الى الموضوع.

(٦٣) ينظر : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي : ٨٥ .

(٦٤) ينظر :التركيبيات الوظيفية : ٦٢ ، و ٧٠ .

(٦٥) اللسانيات الوظيفية المقارنة : ٣٦ .

(٦٦) ينظر : التركيبيات الوظيفية : ١٨٧ .

(٦٧) المصدر نفسه : ١٨٦ .

(٦٨) ينظر : المصدر نفسه : ١٨٧ .

(٦٩) المصدر نفسه : ١٨٦ .

(٧٠) ينظر : المصدر نفسه : ١٨٨ – ١٨٩ .

(٧١) ينظر : الوظيفية بين الكلية والنمطية : ٥٧ .

(٧٢) ينظر : اللسانيات الوظيفية المقارنة : ٥٩ – ٦٠ .

(٧٣) ينظر : المصدر نفسه: ٦١ – ٦٥ .

(٧٤) ينظر : المصدر نفسه: ٦٤ .

(٧٥) ينظر: المصدر نفسه: ٦٥ .

(٧٦) ينظر : المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم: ٨٢ .

قائمة المصادر و المراجع

١. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي ، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط١، ١٩٩٣.

٢. الاتجاهات المعاصرة في دراسة تطور اللغة، أحمد عبد العزيز دراج، مكتبة الرشيد ناشرون، ط١، ٢٠٠٣ .

٣. أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط ٨، ١٩٩٨ .

٤. إنسان الكلام، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية، كلود حجاج، ترجمة رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، ط ١، ٢٠٠٣ .

٥. البناء الموازي، نظرية في بناء الكلنة وبناء الجملة، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، ط ١، ١٩٩٠ .

٦. التركيبيات الوظيفية، قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، دار الأمان الرباط، ط١، ٢٠٠٥ .
٧. التواصل اللغوي، مقاربة لسانية وظيفية، عز الدين البوشيخي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ٢٠١٢ .
٨. الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠ .
٩. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦ .
١٠. علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة، ط ٩، ٢٠٠٤ .
١١. اللسانيات التوليدية من التفسير الى ما وراء التفسير، نعوم تشومسكي، ترجمة محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد٢٠١٣ .
١٢. اللسانيات التوليدية من النموذج المعيار الى البرنامج الأدنوي، مصطفى غلفان بمشاركة امحمد الملاخ وحافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠ .
١٣. اللسانيات النسبية وتعليم اللغة العربية، محمد الأوراغي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط ١، ٢٠١٠ .
١٤. اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، أحمد المتوكل، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٢ .
١٥. اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢، ٢٠١٠ .
١٦. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، عبد القادر الفاسي الفهري، دار الشؤون الثقافية، دار توبقال، ط ١، ١٩٨٢ .
١٧. اللغة والعقل، واللغة والطبيعة، نعوم تشومسكي، ترجمة رمضان مهلهل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ٢، ٢٠١٣ .
١٨. مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، منشورات كلية الدراسات العربية والإسلامية، دبي، ط ٢، ٢٠١٣ .
١٩. مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

٢٠. المعرفة اللغوية، طبيعتها وأصولها واستخدامها، نوم تشومسكي، ترجمة محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣ .
٢١. المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم، أحمد المتوكل، دار الأمان الرباط، الرباط، ط١، ٢٠٠٦ .
٢٢. موجز تاريخ علم اللغة، روبنز ، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، ١٩٩٧ .
٢٣. نظرات في اللغة، انيس فريحة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ .
٢٤. نظرية اللسانيات النسبية دواعي النشأة، محمد الأوراغي، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط ١ ، ٢٠١٠ .
٢٥. نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤ .
٢٦. الوسائط اللغوية، محمد الأوراغي، دار الأمان، الرباط، ط ١، ٢٠٠١ .
٢٧. الوظيفية بين الكلية والنمطية، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٣

البحوث

١- بصائر اللسانيات، محمد الأوراغي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد ٤٨، ٢٠٠٩ .
٢- نحو اللغة العربية التوليفي، محمد الأوراغي ، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد ١٣ ، ٢٠٠٠ .
٣- نظرية اللسانيات النسبية ونحو اللغة العربية من اللغات التوليفية ، محمد الأوراغي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد ٤٩ ، ٢٠١٠ .